

برنامج أنوار كاشفة

أقوال المسيح

الحلقة العشرون

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

تحدثت قصة عن امرأة قتلت زوجها وهو نائم بأن غرست مسماراً في رأسه، ولم يعلم أحد عندها سبب وفاته. وبعد سنين طويلة أتى عالم آثار وكان يتجول بين القبور، فرأى مسماراً في جمجمة، فسأل عن صاحب هذه الجمجمة؟ فقيل له لفلان، وزوجته فلانة مازالت حية ترزق. فأخذ المسمار وذهب إلى الزوجة وسألها: هل تعرفين هذا المسمار؟ فوجمت وارتبكت واصفر وجهها، ثم انهارت واعترفت أنها هي التي غرست المسمار في رأس زوجها وقتلته لكي تتزوج عشيقها. وهكذا فُضح الأمر، وكُشفت الجريمة. وما كان سراً أصبح معلناً.

كل منا أصدقائي يقوم أحياناً بأعمال لا يريد أن يراها الناس من حوله. وهذه الأعمال غالباً ما تكون أعمالاً شريرة، فاسدة، ولهذا يفعلها في الخفاء أو في الظلمة. لكن هل تعلم مستمعي أن كل ما يفعله أو حتى ما يقوله الإنسان في الخفاء سيظهر للعلن يوماً ما؟

تحدث مرة المخلص المسيح عن هذا الموضوع فقال: «لأنَّ لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلَا خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ» (بشارة متى ١٠: ٢٦). وفي مناسبة أخرى قال المخلص المسيح: «لأنَّه لَيْسَ خَفِيٌّ لَا يُظْهَرُ، وَلَا مَكْتُومٌ لَا يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ» (بشارة لوقا ٨: ١٧). أجل، هذه هي سنة الحياة، فلا شيء يبقى مكتوماً أو مخفياً عاجلاً كان أم آجلاً. وستذهب محاولات الإنسان لإخفاء أعماله الشريرة في مهب الريح. وكم من فعل شرير فُضح، وكم من جريمة كُشفت. وكم من سرٍ ظهر واضحاً للعيان.

مستمعي الكريم، إن الإنسان عندما يقوم بعمل ما بالخفاء، يعلم في قرارة نفسه أن هذا العمل أو هذا السلوك هو قبيح وفساد، وإلا لما قام به في الخفاء أو في الظلمة. كالتالِب الذي يغش في الامتحان، أو المرء الذي يسرق أموال الآخرين، وقس على ذلك الكثير من الأعمال الشريرة، التي تُفعل في الخفاء. ولو علم الإنسان في تلك اللحظة التي يقوم فيها بهذا العمل الفاسد، أنه سيأتي اليوم الذي

فيه سيُفصح، وسيرى الجميع عمله لربّما تردد في القيام به. لكن المرء مع الأسف ينخدع بإغراءات الشر، وينجذب وراء ميوله الفاسدة، وهكذا يقع في المحذور.

ولقد أوضح المخلص المسيح أنه ليس مكتوم إلا ويُعلن، ولا خفي إلا ويُعرف. ولقد برهنت تجارب واختبارات الملايين من البشر صحّة هذه المقولة. فكم من إنسان حتى ولو كان في منصب رفيع أخفى أفعاله الشريرة، لكن أتى الوقت الذي فُضح فيه، وتلوّثت سمعته وصار عبرة للآخرين.

لعلّ السؤال الآن: لماذا بالرغم من التقدّم الحضاري مازال الإنسان يقوم بإخفاء أعماله الشريرة؟ أجبنا المخلص المسيح أيضاً عن هذا السؤال بقوله: «أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلَا يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلَّا تُوبَّخَ أَعْمَالُهُ» (بشارة يوحنا ٣: ١٩-٢٠).

إن هذه هي طبيعة البشر جميعاً في كل مكان وزمان، أنهم يرغبون العيش في الظلمة، لكي يفعلوا الشر. ولا يحبوا أن يأتوا إلى النور لئلا تتكشف أعمالهم الفاسدة. ولهذا نراهم يحاولون قدر جهدهم إخفاء هذه الأعمال. لكن سيأتي اليوم شاءوا أو أبوا الذي فيه تتفصح فيه أفعالهم. وفي المقابل عندما يريد أن يفعل الإنسان عملاً حسناً يعمل في النور وعلانية، فهو يريد أن يراه الناس جميعاً لا بل يفتخر به أمامهم. فمقابل الظلمة هناك النور، ومقابل الخفاء هناك العلن. لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكاننا أن نعيش دائماً في النور؟

صديقي المستمع: هل بإمكان الإنسان أن يعيش دائماً في النور؟ لقد أعلن لنا المخلص المسيح أنه لكي نعيش في النور، علينا أن نُقبل إليه فهو النور الحقيقي الذي يجب أن نلجأ إليه. لهذا قال: «أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (بشارة يوحنا ٨: ١٢). وعندما نُقبل إلى النور الحقيقي، أي نؤمن بالمسيح المخلص، ينقلنا الله من دائرة الظلمة إلى دائرة النور، أي يحررنا من عبودية الخطيئة، ويجعلنا من أولاد النور. وهكذا نبتعد عن أعمال الظلمة والخفاء، ونسلك بأعمال النور في العلن وبوضوح النهار. لا بل نصبح نحن نوراً للعالم.

ولهذا قال المخلص المسيح لتلاميذه: «أنتم نور العالم. لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (بشارة متى ٥: ١٤-١٦).

هل تعلم مستمعي أن الله يعلم خفايا القلب وسرائره؟ وأنه سيأتي يوم يديننا فيه على كل أفعالنا حتى الخفية منها؟ لهذا كتب سليمان الحكيم يقول: «فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً» (جامعة ١٢: ١٣-١٤). إن الله يعلم ويرى كل ما نفعله في الخفاء، وكل ما نفكر به في قلوبنا، وهو سيديننا عليه. حتى ولو لم تتكشف هذه الأفعال والأسرار هنا على الأرض، فسيأتي يوم يكشفها الله لنا أمام عيوننا. وعندئذ لا مفر من مصيرنا الأبدي المحتوم.

فمن أي الفريقين تود أن تكون مستمعي؟ من فريق الذين يعيشون في الظلمة وتتكشف أفعالهم الشريرة إما هنا على الأرض أو في السماء عندما يدينهم الله؟ أم من فريق الذين يتحررون من سلطان الظلمة ويقبلون بالتالي إلى النور؟ أرجو أن تكون من الفريق الذي يأتي إلى النور إلى المخلص المسيح.